

السعادة الحقيقية واين توجد

أتوسل اليك ايتها السعادة بقلب خاشع ورأس خافض اجلاً لِمَقَامِكَ
السامي ان ترشدني اين أنت وكيف السبيل الى لقاءك؟ أفي تلك القهـور
الشاهقة او في تلك الأكواخ الحفيرة مسكنك؟ ام في الحدائق الغناء
او الصحارى الفبراء يكون مقرّك؟

قتشت عليك طويلاً هنا وهناك فلم اجد لك أثراً فإين أنت حينئذٍ؟
أفي تلك القبور مخبئة أنت بين جثث هامدة واجسام بالية وعظام نحرها
السوس كي لا يراك احد وتتمتعين بالانفراد في تلك الربوع الخالية حيث
هناك يوجد السكون الدائم والسلام المستمر؟ كلاً وألف كلاً. فليس هذا
موضعك لأن لك قدراً فوق كل قدر. ام أنت على قمم تلك الأشجار
العالية مترتبة حيث تتمايلن ذات اليمين وذات الشمال مع تلك الأغصان
كلما حركتها الرياح. لا ومقامك الأسمى لا أرضى لك ان تكوني كذلك
نبيلة أنت ايتها السعادة وشريفة هي خصالك وحيدة هي مكارمك
فصفات كهذه توحدت في شخصك الكريم لا بد لك من مكان تقطنه
يليق بها فإين أنت يا هذا المكان الذي فيك وضعت آمالي وعينيك
ينتهي كل رجائي؟

ليس بعزيز عليك ايتها السعادة ان تهيني شفقة منك
كيف السبيل الى ذلك المكان حيث اجدك هناك ترتعنين في
محبوحة الهناء

مهلاً ايها السائل مهلاً فلقد تخيلتك فتى نبيلاً تميل الى معرفتي وتوسلت
طويلاً في طايي . ولكن عجباً ! كيف تجهل مقرتي وهل انتهى بك الفكر
عند ذلك الحد واقتصرت على ان لا تهتدي على ذلك المكان الا بارشادي
اياك عنه

فرققاً بك وخوفاً من ان يحلّ بك اليأس والقنوط لا أبخل عليك
بان أقودك الى ذلك المكان حيث أقيم

شكراً لك وألف شكر ايها السعادة الحسنة فلقد غمرتني فضلاً
بعطفك عليّ ، وملاّتي سروراً بمخاطبتك اياي كرمًا منك ، وعند ذلك اشرق
نور طمعتك واخترقت اشعته ذاك الظلام الحالك وهنا اهتزت طرباً
حيث رأتك عينيّ متشحة بلباس الفخار ، وطرت سروراً حينما وجدت
مقرّك الوحيد بعد ان تقوّضت حصون آمالي من الفوز بوجوده فانت
بدار (القناعة) تقيمين تلك الدار المقدسة التي اخترتها لنفسك — ونعم
الاختيار — وهنا أرفع صوتي مفتخراً بانك أنت هي السعادة الحقيقية وها
هو حقيقة مقرّك وفيه تعيشين

« القناعة » تناديكم ايها الاخوان فاقتفوا أثرها وتعلقوا باذيالها وكونوا
لها ابناء صادقين فليها تأسيس دعائم تلك السعادة الحقيقية لا تلك
السعادة الوهمية والله الموفق الى سبل الرشاد

حبيب زكي

بمصر

